« أوَلى زلزلت طربا »

في العدد الماضي من (الرسالة) بدا للصديق الصالح الخاشع محمود محمد شاكر أن ينظر في قصيدة « النأي » التي كنت نشرتها في العدد ٣٤١. وجاء نظر الصديق على شطرين : الأول في علم العروض ، والثاني في فن اللغة عامة والمجاز خاصة

فأما قول الصديق إن بحر « المنطلق » الذي وضعتُه إنما هو من مجزوء « المتدارك » أو من نحو ذلك فوهم قد سبقه إليه كاتب آخر . وفي هذا المكان من العدد الماضي وقف القارىء على ما يبدِّد ذاك الوهم . ومن الغريب أن كاتباً بمكانة الأستاذ محمود محمد شاكر يخلط « وضع » الشيء بـ « اختراعه » . إني لم أخترع البحر يا محمود ، بل وضعته . وما أنا بباخل عليك بهذا التبصير .

وأما الشطر الثاني فمحصور في قول الأستاذ : « ولكن ما بال هذا الصديق (يعنيني) يريد أن يزلزل أذنه ، ونحن لم نفرغ بعد من حديث الزلازل التي هدمت ما هدمت في الأناضول. لماذا أيها الصديق ؟ ولماذا تريد أن تشعر أن أذنك وحدها — دون سائرك — هي التي تطرب ، ولا يكون طربها إلا زلزلة » اهـ .

ألا إن من مساوئ الإكباب على قراءة الصحف اليومية أن يغلب على الألفاظ المتواترة معنًى يقف الخلق عنده فينسوا مُفاده الأول ويُغفلوا ألوان استعماله في الأدب الموروث بجلاله وثروته . فإن الصديق محموداً قنع بزلزال الأرض ، والأناضول من الأرض . كيف فاته أن زلزال الأرض معنى طارئ على زل زل ؟ ففي « لسان العرب » ج ٥ ص ٣٢٧ : « وفي الحديث : اهزم الأحزاب وزلزلهم — الزلزلة في الأصل : الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ، ومنه زلزلة الأرض ، وهو ههنا كناية عن التخويف والتحذير ، أي : اجعل أمرهم مضطرباً متقلقلاً غير ثابت » . هذا ، وفي القرآن نفسه — وهو الحجة العليا في مثل هذه المشكلات — تصيب إلى جانب « زلزال الأرض » و « زلزلة الساعة » (سورة الزلزال ، والحج) آيتين إليك حروفهما : (١) « وزلزلوا حتى يقول الرسول » البقرة ، (أي « أزعجوا إزعاجاً شديداً مما أصابهم من الشدائد » : عن البيضاوي) — (٢) « هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » الأحزاب (أي « من شدة الفزع ») . وعلى هذا ، فإنك ترى أن الزلزلة تفيد الاضطراب والتقلقل والتحرك ، حقيقة ومجازاً ، ثم إنها خرجت من ذلك — من باب إطلاق العام على الخاص — إلى المعنى الذي تمثّل عنده الصديق ، والذي غلب عند عامة الناس لهذا الزمان. ومن ذلك المعنى الأول، وهو الأصل، ما جاء في حديث عطاء : « لا دق ولا زلزلة في الكيل ، أي لا يحرّك فيه » ، وفي حديث أبي ذرّ : « حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل » ، (عن « لسان العرب ») . وعلى ذلك أيضاً قولهم : « جاء بالإبل يزلزلها : يسوقها بعنف » (عن « أساس البلاغة » مادة زلل) . كيف غاب كل هذا عن صديقي والقرآن في صدره والتفسير والحديث واللغة شواغله . هل زلزل « النأي » ذاكراته ؟

وقد خطر للصديق محمود — ومحمود كثير الخواطر — أن يقول لي : « لماذا تريد ألا يكون طرب أذنك إلا زلزلة ؟ » . فإني ألوذ بالصبر فأقول : لأن الزلزلة والطرب على مجاورة . مصداق ذلك أن استعمال لفظ الزلزلة للدلالة على الطرب الشديد قديم في أدبنا . ففي « الأغاني » (ط بولاق ج ٦ ص ٨٠) : « فتغنيت

الاغتيالات وحوادث القتل التي ارتكبها زوجها ، ولكن هاك الحقيقة كما وقفت عليها :

من حين إلى آخر يقيم زعماء البلاشفة حفلات للهو المنيف يحضرها النساء ، وتسيل فيها الخمر أنهاراً ، وفي حفل كهذا أفرط الدكتاتور الأحمر في الشرب وأخذ يبدي ولعاً مكشوفاً بسيدة خاصة ، فأحفظ ذلك زوجته « اليلوفا » التي لم تكن أقل منه سكراً فتشاجرا وصخبت زوجته وهددت بأنها ستنتحر ، فهزأ منها ستالين أمام النساء اللائي عيرنها بأنها لن تقدم على الانتحار ، فما كان منها إلا أن غادرت القاعة ، وعلى الأثر سمع طلق ناري ، فهرعوا إلى الخارج ووجدوها ميتة برصاصة استقرت في رأسها .

فتأثر ستالين الصخري الفؤاد بموتها وأظهر جزعاً شديداً ، فاقترح الحاضرون دفنها بمشهد حافل تعزية له . فدفنت في قبر فخم بكنيسة العذراء بموسكو ، ولا يزال ستالين يتردد على قبرها سراً لوضع باقات الزهور

وقد تزوج دكتاتور روسيا للمرة الثالثة بامرأة من مقاطعة جورجيا ولكنها لم تظهر معه أبداً في المحافل الرسمية ، وإن كانت ترافقه إلى دور التمثيل أحياناً .

مسز الظاهر

(والمتكلم اسماعيل بن جامع المغنى) بصوت لى ... فتزلزلت والله الدار عليهم » ، وفى « الأغانى » أيضاً (ج ٥ ص ٢٤) عند الكلام على غناء ابراهيم الموصلى وضرب منصور زلزل بالعود فى حضرة الرشيد : « فزلزلا الدنيا » ، ومن ذلك قول العرب : « والزُلزُل : الطبّال الماهر » (عن لسان العرب) ، ولعل اسم « زلزل » المتقدم ذكره من همنا كذلك

وأما أن تُزلزل الأذن من شدة الطرب دون سائر البدن فكلام أُنزله منزلة الدعابة ، وإلا فليستفسرْ الصديقُ العربَ قولهم : « تزلزلت نفسه : رجعت عند الموت فى صدره » (لسان العرب: ز ل ل)، وقولهم فى وصف النزال : «وزلزلت الأقدام من ولولة الأنجاد» («الألفاظ الكتابية» للهمذانى بيروت ١٩١٣ ص ١١٧ ثم ٢٣٥) ... إن لكل مقام مقالاً : على هذا تلقّينا البلاغة !

فالطرب الشديد يزلزل الأذن أية زلزلة حتى إن السامع المطراب يتمنى لو يجنّب الناى أو العود خشية الإعياء ، كالعاشق أضناه عشقه وعناه فيود لو يفرّ من معشوقه اتقاء التلف

وإن استكثر محمود زلزلة الأذن أى اضطرابها وتقلقلها ساعة الطرب الشديد ، فليسأل صاحب « الأغانى » عن صحة قوله (ج ١٨ ص ١٢٧) : « اندفع عمرو بن الكنات يغنّى على جسر بغداد أيام الرشيد ، فحبس الناس واضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها وكادت الفتنة تقع »... ألا إن الطرب لأهله ـ عفا الله عنهم ـ وصديق محمود ربيب بيت صلاح وورع وتحرُّج وتقوى . وأما أنا فكما قال هو : صاحبُ « صرح وانطلاق إلى سائر هذه الألفاظ الراقصة بألفاظها قبل معانيها» ، بل إن أهلى أنقذونى إلى باريس يأساً، وفى باريس وغيرها لهوت وعبثت وتلمست الطرب على ألوانه حتى أمست أذنى — لا قوّمها الله ولا أصلحها — تنعم بالزلزال

ثم هل الأذن التى تزلزل فوق أقوال للعرب مثل هذه : « طار القلب فرحاً ، وخلع الحزن قلبه ، ومزق أحشاءه ، وفتّ كبده » إلى آخر ما هنالك من التعبيرات التى تذوى اللغة من دونها فينفض لونها

وهكذا ترى أن الأستاذ محموداً خذله الحظ هذه المرة . وذلك لأنه عدّ قصيدة الناى من « الشعر الجديد» ، فخف يتلمس فى مطاويها النبوّ . فسقط على مطوى عربى صميم . ولعل الحظ ينصره عند قصيدة خارجة فى عدد آت ، إذ هى أبعد ذهاباً عن المألوف . وليطمئن الصديق إلى أنى لن أجاذبه فيما يدق عن المقاييس القريبة فإنما أكتب اليوم على جهة التسلّى والتاهى

بشر فارس

جواب

عند الأستاذ صاحب الرسالة أخبار وأخبار عن المفتونين والمفتونات بمقالاتى ومؤلفاتى ، وهو يتجاهل تلك الأخبار كما أتجاهل ، ولكن من الحقوق أن أتجاهل الخطاب الوارد من « ليلى من الليالى » على وزن « كاتب من الكتاب » كما تقول تلك الغيداء . ويظهر أن الدنيا بدأت تبتسم للروح الحزين الذى قضى دهره فى نضال وصيال

وعطفُ قرائى علىّ هو تلك الابتسامة التى أستعين بها على دفع ظلمات الخطوب ، وما خلا دهرى من خطوب منذ اليوم الذى تقدمت فيه لرفع راية النقد الأدبى ، وعند الله والحق جزائى.

وفى خطاب « ليلى من الليالى » أمرٌ كريم بأن يظل خطابها سرًّا مصوناً ، وسيظل كذلك إلى أن ترفع الحجاب وتعترف بأن الأدب كالحب يجوز فيه الافتضاح

نفسى فداء الأنامل اللطاف التى كتبت ثلاث صحائف لتعلن فتنتها بأسلوبى !

وسألنى ذلك الروح عن قدوم ليلى المريضة فى العراق مع وفد المؤتمر الطبى العربى ، وأقول إنى انتظرت ليلى فى محطة باب الحديد إلى منتصف الساعة الثانية بعد نصف الليل مع الأستاذ عبده حسن الزيات ولم تحضر كما وعدنى الدكتور عبد المجيد القصاب ، ومن أجل ذلك قضيت أيام العيد وأنا حزين

أما بعد فقد وجب علىّ أن أعلن ثنائى ، وأن أقول بعبارة صريحة إن عطفهم علىّ هو أثمن ما ظفرت به فى حياتى ، ولولا الخوف من حسد الزملاء لقدمت الأسماء الكريمة التى أعلنت رغبتها السامية فى أن تنصفنى من زمانى ، وهل يقبل الزيات ذلك وهو يخاف علىّ فتنة الغرور بثقة القراء ؟

حَسْبُ الزيات أن يلهو بقراءة ما يصل إليه من أقوال المفتونين بأسلوبى ، وأن يحفظها لأطلع عليها حين أشاء ، وأن ينشر منها ما يريد ، ولكن متى يريد ؟

إن لم يصنع فسأتوب عنه وأقول إنى كاتب محبوب ، والله يختص بكرمه من يشاء

زكى مبارك

حول الكهرباء: تضارب

صديقى الأديب الكبير الأستاذ الزيات

بعد التحية والاحترام طالعت فى العدد الأخير من (الرسالة) القراء ما أشار إليه الدكتور اسماعيل أدهم من تردُّد فريق من الأدباء

في تصديق ما ورد في كتابي « آفاق العلم الحديث » عن تجارب تبين أن بعض الأجهزة الكهربائية المعدة خاصة لهذه التجارب تقوم بأعمال من قبيل التذكر والنسيان والتعدد (آفاق العلم الحديث : فصل « دراسة الحياة العقلية بتجارب آلية » صفحة ٢١٦ — ٢٢٣) وقد أتحى الدكتور باللائمة على أولئك الأدباء لترددهم هذا الآن هذه الأقوال « نتائج العلم التطبيق في أوربا ... ومع أن هذه المباحث ليست نظرية وإنما هي وليدة التجربة والاختبار، ولا شك أنه ليس للأفكار ولا للمنطق أن ينازع في حقيقتها ما دامت التجربة تثبتها » (الرسالة العدد ٣٤٣ الصفحة ١٩٦)

ومن لطف الاتفاق أنني تلقيت أمس بالبريد الأميركي جزء يناير من « المجلة العلمية الشهرية » بعد مطالعة كلمة الدكتور أدهم في «الرسالة» الغراء، فقلبت صفحاتها وإذا صورة الدكتور هل Hull (وهو الذي عزيت إليه هذه التجارب) في رأس الصفحة التاسعة والثمانين منها. وقد نشرت هناك لأنه كان رئيساً لقسم علم النفس (السيكلوجيا) في مجمع تقدم العلوم الأميركي في مؤتمره الأخير. وعلى هذا أيجوز أن نهمل ما يقدمه أستاذ علم النفس في جامعة « ييل » ورئيس قسم علم النفس في « مجمع تقدم العلم الأميركي » ؟

إنني أعلم أن الشك أول مدارج اليقين. ولكن هذا الشك يجب أن يستقيم على تقصي الموضوع فيفضي إلى توضيحه بالبحث الدقيق. أما أن نتغفل ما يقدمه أساطين العلم الحديث أو أن نتردد في قبوله لأن قولهم لا يوافق هوى في النفس، أو لأنه لا يساير فكرة سنحت في الذهن، فذلك دليل على الضعف والتصلب. وأي تفكير صحيح يقوم على هذين الأساسين ؟

ولست أعلم من هم الأدباء الذين أشار إليهم الدكتور أدهم في كلمته ورد عليهم. وإنما استرعى نظري قوله في ما بين العلم والثقافة الصحيحة من صلة موثقة. فاسمحوا لي أن أشير في هذا الصدد إلى فصل نفيس في « مآلة ثقافتنا العلمية » حواه كتاب جديد للدكتور قسطنطين زريق، أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأميركية عنوانه « الوعي القومي »

وتفضلوا بقبول مودتي واحترامي — فؤاد صروف

هل في الإمكان زيادة بحر جديد في العروض ؟

إن البحور المعروفة في علم العروض العربي، هي البحور الممكن تأليفها فعلاً من التفاعيل التي تجيء في لغة العرب. وأساس هذا الكلام لا يتعدى معرفة التفاعيل وصيغها التي تجيء في العربية، ثم تركيب الأبحر الممكن مجيئها منها على أساس حسابات الأمثال. والنتيجة أنه لا يمكن زيادة بحر جديد مستقل على البحور المعروفة في علم العروض، وإن أمكن استحداث تركيبات في أجزاء هذه البحور. ولأحد المستشرقين الروس بحث مستفيض في هذا الشأن، نال عليه أجازة الدكتوراه من لينغراد « الاسكندرية » — اسماعيل أدهم

« يوم سعيد »

إن صناعة السينما في مصر قد نشطت وجدّت وأخذت تتلمس طرق الفن الصحيح. وهي تخفق مرة وتفلح مرة، ثم إنها أدركت أنه لا بد لها من استيفاء العدة على توزع نواحيها : من تصوير وتمثيل وغناء ورقص إلى جانب القصة نفسها.

بدا لنا هذا بمناسبة عرض فلم الأستاذ محمد عبد الوهاب الجديد وهو « يوم سعيد »، ولا شك أن هذا الفلم يدل على تقدم ملموس في صناعة السينما المصرية. فقد وجدنا القصة متساوقة الأغراض لا تبث اللالة والضايقة في أنفس النظّارة كمعظم القصص التي تعرض هنا. وأما التمثيل، فكان على الغالب غاية في البساطة، فلا تكلف في التعبير، ولا إفراط في الأداء. وكان الإخراج لطيفاً، فيه تبصر وترفق.

وقد جلب المخرج الأستاذ محمد كريم أوجهاً جديدة وعرفها إلى الجمهور. وأنصع هذه الأوجه وجه الفتاة « فاتن حمامة ». فكثيراً ما حبست الأنفاس، وحركت القلوب، ومدت الأعناق وهزت الشفاه بالابتسام الرقيق. وكان الأستاذ فؤاد شفيق بارعاً في تمثيل المصري المرح صاحب النكتة المستملحة والقلب الطيب الساذج. وفي الفلم مشاهد كثيرة طريفة. وفيه مشهدان محكمان : الأول إذ تؤدّي قطعة من مسرحية « مجنون ليلى » لأمير الشعراء أحمد شوقي، وقد جاءت على سبيل التخييل الطريف. والثاني حين يبيع الأستاذ عبد الوهاب ألوان الزهر في ظرف أخاذ

بقي الغناء، وقد جاء على لونين : لون الأغاني الشعبية وفيها الشجى المقيم والنغم المحبّب إلى نفوس العامة. ولون التلاحين الرفيعة الخاصة بالشعر الرائع الجميل. وفي هذا اللون الأخير بلغ الأستاذ محمد عبد الوهاب مبلغاً فنياً رفيعاً. وحسبه تلحينه الحوار الذي يجري بين قيس وليلى في الصحراء. وقد فطن هنا إلى أن يكف عن المزج المباشر بين النغم العربي والنغم الأفرنجي. وإنا لنرقب من الأستاذ محمد عبد الوهاب مثل هذا التلحين الحسن فنهنئ ممثل الفلم ومخرجه بهذا التوفيق ونرجو أن نعود إلى الحديث عنه مرة أخرى